

# الى العرب

وهو كتاب يبحث عن مدنية فرنسا وعدلها ومحبتها للأمة العربية الكريمة على اختلاف عناصرها، ودفاعها عن مقام الخلافة الأقدس وحفظ كيان الدولة العلية، والرد على اصحاب الرسائل والنشرات التي ينشرها اهل الزيغ والفساد وما يتعمدوه من البغي والبهتان والافك والعدوان.

أثر
محمد صفا
صاحب ورئيس تحرير جريدة « العدل »

محمد صفا
رئيس تحرير
جريدة
العدل

ثمن النسخة ١٥ قرشاً

طبع بمطبعة « العدل » بدار الخلافة العلية
١٣٣٩ هـ

## صاحب هذا الأثر



السيد محمد صفا بك الحسني المصري

رئيس تحرير جريدة « العدل » ومديرها السياسي



وبه نستعين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين

# مقدمة

هذا كتاب قد اودعناه حقائق ساطعة مؤيدة بأدلة قاطعة وبراهين لامعة ومباحث جامعة رداً على جماعة حادوا عن الصواب وتمادوا فى غيهم وتناهوا فى بغيهم ووضعوا رسائل وطبعوها خدمة لاعداء الانسانية وفى مقابل فوائد ذاتية وبعض دريهمات لاتسمن ولا تغنى من جوع .

ولما كان للباطل جولة ثم تضمحل وكانت تلك الرسائل تشف عن خبث نية وسوء طوية وا كاذيب بعيدة عن العقل والآداب يراد الصاقها بدولة فرنسا الفخيمة فقد هزتنا الاريحية لوضع بيان هام الى العرب ومنه يتجلى الصبح لكل ذى عينين ويملأ بضيائه مابين المشرقين والمغربين قاصدين بذلك خدمة الحق وتنبيه الغافلين لدسائس المفسدين .

وقد رتبنا ذلك على مقدمة وتمهيد وثلاثة ابواب وخاتمة اودعناها مافيه فصل الخطاب والله الموفق للصواب .

محمد

# تمهيد

كل من تتبع سياسة الدول الاوروبية ووقف على ما لكل دولة من الاعمال السياسة التى تسير عليها مع الشعوب المغلوبة تحت حكمها لايلبث ان يجلى له ان الديموقراطية فى اجلى مظاهرها انما تتمثل فى الحكم الفرنساوى للدرجة التى تجعله يحكم حكماً جازماً بان دولة فرنسا لم تحكم تلك الشعوب الا لانهاضها وتجديد حضارتها واشراق شموس اقبالها فى سماء المدنية الزاهرة حباً فى توسيع نطاق العمران وشفقة على بنى الانسان وقياماً بواجب المروءة والشرف الذى يحتم على كل عظيم ان يتناهى فى خدمة الانسانية .

كيف لا والانسانية هى المطلع الذى تشرق منه شمس الرحمة على الكون فتنيره وهى الحكم العدل الذى يفصل فى قضايا المجتمعات البشرية وهى السلطان المطلق الذى يجلس فى كرسى عظمته وعلى عرش فخاره فتخر له الجباه سجداً .

الاترى ان الانسان يبكى لمصاب من لايعرفه وان كان ذلك المصاب تاريخاً من التواريخ او رواية من الروايات الخيالية . اليس من عوامل الانسانية أن يرى الانسان غريقاً يتخبط فى الماء او حريقاً يتقلب فى النار فلا يستطيع ان يقف امام هذا المشهد المحزن حتى تحدثه نفسه بالمخاطرة فيندفع اندفاع الشجاع المستقتل لنجاة المتخبط فى الماء اوالمتقلب فى النار فاما انقذه اومات فى سبيله وان كان لايعرفه ولم يره فى طول حياته . الم تر ان الانسان يسمع وهو فى اقصى المشرق بحادث من حوادث النكبات وقع بالمغرب فيخفق قلبه وتطير نفسه ويتلهف حسرة واسى ويكاد يذوب حزناً على اولئك المنكوبين وان لم يكن بينه وبينهم صلة الا كونهم من اخوانه فى الانسانية . ولولا ان ستاراً من الجهل والعصبية يسدله كل يوم غلاة الوطنية والدين او تجارهما على قلوب الضعفاء والبسطاء لما عاش منكوب فى هذه الحياة بلا راحم ولا ضعيف بلا معين .

لو لم تكن الانسانية شعار الأمة الفرنساوية لما آثرت الجمهورية على الملكية ولا انتصر « فيكتور هوجو » على الاستبداد .

وقد عرفت الدولة الاسلامية منذ الف سنة تقريبا ما للدولة فرنسا من الاستعداد للرقى فاهدى الخليفة العباسى «هرون الرشيد» الى «شارلمان» امبراطور فرنسا الساعة البديعة التى لم تزل بدار الآثار فى باريس اعدل شاهد على تبادل المودة بين الأمتين من قديم الزمان وسالف العصر والآوان . ولقد اجمعت كتب التاريخ على ان الوفد الذى قدم من فرنسا الى بغداد حينما كانت تلك الاقطار متشحة جلباب الحضارة اعجب غاية الاعجاب بالديار الشامية وحسن الاقليم واعتدال الهواء وعذوبة الماء وخصب الارض وازداد اعجابه بما ميزالله به هذه الفريدة من عقد الطبيعة وكيف ان جونة الفيحاء كالزبرجدة الخضراء . وقل مثل ذلك فيما كانت عليه تلك الأرجاء بين دجلة والفرات حتى ان الوفد المشار اليه يكتم اعجابه مما شاهد من محاسن الزينات التى اقيمت له فى قصر الملك وكان من جملتها شجرة من الذهب والفضة تشتمل على ثمانية عشر غصناً وعلى الاغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة والاغصان تمايل والطيور ترقص وتصفر بحركات مرتبة .

وقد شاهد الوفد من الابهة والعظمة والعلوم والصنائع والتفنن فى ترقية الزراعة والصناعة والاكتشافات العلمية الدقيقة ما جعله يرجع مسروراً معجباً غاية الاعجاب .

من ذلك العصر امتدت الروابط واستحكمت عراها وكان كلما تقلص نور العلوم من الشرق اشرق فى سماء فرنسا حتى بلغت هذه الدولة السعيدة منتهى الرقى والعظمة .

وبقدر ماوصلت اليه من الفضائل والكمالات تجسمت فى نفوس ابنائها محبة الانسانية حتى افرطوا وليس هذا الشغف الا باباً من ابواب

الرحمة ولا يوجد بين قلوب البشر قلب لايخفق بالرحمة وعلى الأخص اذا تمكنت الفضائل العلمية والكمالات الانسانية من ذوى النفوس العالية الذين يريدون لبلادهم المجد المخلد والثناء العاطر وجذب حبائل القلوب بمغناطيس اللطف والعطف والحنان الذى تقتضيه النجابة الحقيقية وتتفتح له رياض مكارم الاخلاق فى الهيئة الاجتماعية .

اتبعت فرنسا سياسة رشيدة حملت الملايين من الامم المستظلة بعدلها على الثقة بها والتفانى فى محبتها فكانت مثالاً للعدالة والديموقراطية الصحيحة وخير قدوة لبقية الدول الاوروبية التى تحاول ان تقتفى آثارها وتلبس للانسانية ثوبها القشيب .

اننا وان لم نكن من التبعة الفرنساوية ولكننا نمجد هذه الامة الكريمة ونعترف لها بجزيل الفضل حيث كانت لها الايادى البيضاء على مصر فى نشر العلوم والفنون وتشييد معاهد العرفان منذ عهد ساكن الجنان محمد على باشا الذى تابع الى ربوع فرنسا الارساليات وجلب من فطاحل علمائها جهابذة تزول الرواسى ولا تزول آثارهم ومآثرهم من وادى النيل الجميل ويمحى كل اثر من لوح الوجود ولا يمحى ذكرهم فهم الكواكب الزاهرات التى سطعت انوارها فى القطر المصرى فبهرت الابصار وبعد ان كانت مصر فى ديجور حالك من الجهل بالعلوم الحديثة وكما يهم البلاد من الهندسة والطب والصنائع .

لم يمض عشرات من السنين حتى ضرب العز رواقه على القطر المصرى وتفتحت فيه حدائق العلوم دانية القطوف حتى بلغت نعمة الله فى وطننا المحبوب بفضل دولة فرنسا مالا تبلغه الامانى والامال وصار عندنا الالوف من نبغاء الامة وكلهم يعرفون لفرنسا هذا الفضل ويعترفون به فى آثارهم الخالدة وتراجم احوالهم ومؤلفاتهم البديعة.

ومما هو ثابت ثبوت نور الشمس فى وقت الضحى مظاهرة علماء

ونبغاء وكبار محررى وخطباء فرنسا فى قضيتنا المصرية وفتح صدورهم ومحافلهم لسماع ونشر احاديث وكتابات وابحاث وخطب نوابنا وطلاب تنظيم مصيرنا واحترامهم لشعورنا الوطنى المستمدة من افلاك كواكبهم وانوار شموسهم والمستفيض عليها ينابيع حكمهم الصافية التى ترفرق مؤها العذب وتسرب الى افئدة المصريين وقلوبهم فلأها سعادة وهناء

ولطا لما كتب الكاتبون وخطب علماء البيان من نبغاء المصريين ونثروا اللآلى عن اسلاكها ونظموا الكواكب فى افلاكها فى وصف كمالات الأمة الفرنساوية ورقة شعورها وشجاعة ابطالها وبلاغة خطبائها ودهاء ساستها ومالشعرائها من القصائد البديعة والمقطعات الجميلة الجامعة لصنوف التشبيهات والاستعارات الدقيقة والمجازات الرشيقة والالفاظ الخفيفة التى لو سمعتها الوحوش لا نست اوالطير لنزلت اوالخرس لنطقت .

ومالكتابها من الاساليب المستظرفة والابحاث الرائقة والانتقادات الصائبة .

وماللانسات الباريسيات القاتلات الفاتكات المجيدات من الجمال الرائع والكمال الباهر والاحتشام الفاخر والوقار النادر والحظ الفاتر واللحظ الساحر وتدبير المنازل ومسابقة الرجال فى التحلى بجميع الفضائل .

عدا عما تبارى فى وصفه الاقلام من الاعجاب بما تفيضه الباب اولئك الاساتذة الكتاب من انشاء الروايات التمثيلية والحكايات الخيالية وتنسيق الوقائع الزمانية ووصفها وصوغها على طراز قصص حقيقية تستهوى النفوس والعقول وتفعل بالالباب مالا تفعله كوس الشمول .

اما علماء الاكتشافات فانهم من هذا العنصر النجيب وقد اجتهدوا وجدوا ووصلوا ونالوا المقام اللائق بفضلهم ولكل مجتهد نصيب .

وابلغ من هذا وذاك تضامن هذه الأمة واتحادها وحرية افكار ابنائها فالكبير والصغير والعالم والجاهل والامير والحقير والاطفال والنساء

والرجال كلهم يسعى لاعلاء شأن الوطن وبلوغه منزلة تتضاءل دونها الكواكب ولا عبرة بما ينتقد به بعضهم بعضا فان حرية الفكر والاجتهاد ومنتهى الاخلاص كل ذلك يدفع العقلاء لبيان ملاحظاتهم وربما اسرفوا في هذا السبيل وان لم يكن اسرافهم الا لاقامة القسط وتوزيع المساواة بين الامم المستظلة بالعلم الفرنساوى المثلث الالوان ، وحرصاً على بقاء مجد فرنسا وهذه مزية كبرى من مزايا الحياة يجلها التاريخ ويكبرها وينظر اليها الدهر فى عليـاء سمائها كما ينظر الفلكى الى كوكبه او الملاح الى نجمة القطب . ولا غرو فان الحرية الحقيقية اذا اشرق نورها فى سماء امة عريقة فى المدنية لا يلبث كل واحد من افرادها ان يمتد شعاع ذلك النور فى نفسه فيملأها واذ ذاك يشعر بخفة فى جسمه وصفاء فى ذهنه حتى يخيل له ان فى استطاعته ان يطير من وجه الارض كما انه يكاد ان يخترق بنظره حجاب الغيب .

ان هذه الدولة العظيمة التى ادهشت لباب العالم بمدنيتها الباهرة لا تحتاج الى بديع البيان فى وصف جلالها وجمالها وعظمتها التاريخية وانتصاراتها فى حروبها وانسانية نجبائها .

وانما حدا بنا الى الاسهاب فى هذا الموضوع ما حير افكارنا من الافك والمين والاكاذيب التى صورها بعض من لا خلاق لهم من المأجورين الذين خلعوا عنان المروءة عن اقلامهم وحملوها فى كراريس على شكل رسائل وطبعوها لاضلال البسطاء والمغفلين ولا شك ان القارئ لا يكاد يتصفح رسالة من هذه الرسائل الا ويخال نفسه بانه يقرأ حكاية عن سكان المريخ .

ولو لم نكن من اهالى القطر المصرى الذين اقتبسوا من انوار الدولة الفرنساوية معارفهم التى تقدم ذكرها لكنا نصدق روايات اولئك الافكة .

ومع ذلك فمن الذى اقامهم هذا المقام وعهد اليهم بهذا العهد من الأمم الاسلامية والمقاطعات الجزائرية والتونسية وماهم بالبررة الاتقياء الذين يصلحون ان يكونوا امثلة حسنة فى منازلهم فيكونوا قدوة صالحة فى امتهم ولا بالعلماء العاملين فيهتدى بهداهم ويقتدى بتقاهم ولا بالصادقين المخلصين الذين يؤثرون امتهم على انفسهم فتعبد باجلالهم واعظامهم. بل ليس لواحد منهم فضل الصانع فى مصنعه ولا التاجر فى مخزنه فضلاً عن هذا المقام الخطير الذى يؤهله لان يكون حكماً بين اعاظم الدول وميزاناً لحسنات وسيئات الأمم.

ولولا ان الآداب تمنعنا عن مجاراة السفهاء المذبذبين لأتينا على ترجمة حياة كل واحد منهم. على انه لو جمعت عيوب جميع الناس فى كفة ميزان لثقلت امام نعال الذين يزعمون انهم يقيمون معوجهم ويصلحون شأنهم.

ولكن ماهى الفائدة فى وصف اوباش كمنوا من صلابة وجوههم وراء حصن حديدى لاتنال منه الايدى ولا تنفذ فيه المعاول.

فلهذا ولما كان الانتصار للحق فضيلة لم ار بداً من تفنيد تلك الاضاليل ودحض هذه الاباطيل خدمة للتاريخ الذى هو مرآة الحوادث الكونية وقياماً بما تفرضه علينا خدمة الصحافة العربية اعترافاً بشكر الدولة الفرنساوية التى لها على بلادنا المآثر الغراء والايادى البيضاء فضلاً عن جميع البلاد العربية المتمتعة بنعمة الاستظلال بظلها الوارفة فى بحبوحة عدلها المقرة والمعترفة بفضلها.

على اننا لاندرى باية مفخرة نبدأ ولا باية مأثرة نفتتح المقال وكل اعمال هذه الأمة الجليلة مفاخر ومآثر وجميع اعمالها وافعالها من محاسن الصفات وجلائل الحسنات التى تفوق حد التصور وتتعدى بلاغة الشعر والنثر.

بل من لنا بقلم فيكتور هوجو وسحر بنانه حتى كنا نوفى هذا المقام حقه ونزف عرائس الكلمات من خدورها بين منظومها ومنثورها. وهى الدولة التى سمقت اليها ابصار العالم اعجاباً واكباراً وعقدت عليها الآمال فى كل عصر واستبشرت بها المدنية استبشاراً وهى محررة الشعوب من الاسترقاق والقابضة على ازمة العدل بالاستحقاق وهى الدولة التى تدفقت عليها سيول الرفاء وامتد حول اقطارها وامصارها رواق العز وبعد صيت مجدها فى الخافقين حتى ترنحت اعطاف الزمان بحزم ابنائها وابتسمت ثغور المعالى لسطوة عظمتها واشارت اليها الامم والشعوب بالأنامل وحالفتها السعادة الابدية والعناية السرمدية .

فهل يتصور العقل ان هذه الدولة الفخيمة ذات التاريخ الحافل بجلائل الاعمال والتى جاهدت فى تحرير العبيد والزنوج لاخراجهم من ظلمات الهمجية ومرتبة الوحوش تسيئ الى رعاياها من الامم الاسلامية وتعاملهم بالعسف والجور وتنقض على رؤسهم صواعقها الجهنمية وهى التى ينادى اجلة علمائها بفضل الاسلام وصداقته لفرنسا منذ الف عام .

ذكر الاستاذ « دروى » وزير المعارف العمومية بفرنسا سابقاً فى تاريخه ماملخصه :

« بينما اهل اوروبا تائهون فى بيداء الجهالة لايرون الضوء الا من سم الخياط اذ سطع نور قوى من جانب الامة الاسلامية من علوم وادب وفلسفة وصناعات واعمال يدوية وغير ذلك حيث كانت مدينة « بغداد » و « البصرة » و « سمرقند » و « دمشق » و « القيروان » و « مصر » و « تونس » و « غرناطه » و « قرطبه » مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشر فى الامم واغتنم منها اهل اوروبا فى القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنونا علمية واقاموا اساس محالكهم على شرائع الاسلام » .

— وهى طويلة جداً ربما جئنا على خلاصتها فى آخر هذا الكتاب —

وخطب احد علماء فرنسا فى مصر سنة ١٨٩٦ خطبة شائقة غراء اثبت فيها فضل الاسلام حيث قال :

« ليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها والتى تحت الحل مايغير مثل هذه الحقائق الاسلامية الوضاءة و السهلة للمأخذ. الى ان قال :

وهاهى الحوادث والاحوال قد برهنت على ما للقرآن الكريم امام أعين الذين يفقهون من صفات القابلية للعلم والترقى والحضارة حيث قامت فى العالم الاسلامى حضارات زاهية زاهرة فاقت بكثير ماكان يعاصره من تمدن الغرب بل كان الغرب وقتئذ فى عصر الظلمات » اهـ ـ ملخصاً .

ومن جميع ماتقدم وماسيأتى بيانه يتجلى للقراء بان السياسة الرشيدة التى تسير عليها دولة الجمهورية السعيدة تحمل على الثقة بها والركون اليها وهى الثقة التى لايشوبها ادنى تغيير ولا تحوير على ممر الليالى والايام وستبقى مثالاً للانسانية العادلة والديموقراطية الصحيحة التى يجب ان تقتدى بها الدول الاخرى حتى تنال مانالته من المجد و يعود للعدالة رونقها وتلبس الانسانية ثوبها القشيب . ومن اقتدى بها فقد اهتدى ولكل مجتهد نصيب .



# الباب الأول

## في محبة الدولة الفرنساويه للأمة العربية

آثرنا في تمهيد هذا الكتاب على نبذة من تاريخ الروابط القديمة الصحيحة المستحكمة حلقاتها بين كل من الأمتين العربية والفرنساوية ولما كان هذا الموضوع من أجل المواضيع واكثرها اهمية رأينا ان نوفي المقام حقه اجمالا وان كان الاسهاب في هذا الباب مما يحتاج الى مجلدات ضخمة ومقالات طويلة عريضة وتفصيلات ضافية مستفيضة ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله فنقول وبالله التوفيق :

لا يخفى ان الدولة الفرنساويه لما استولت على الجزائر وجدت البلاد في حالة بداوة وكل قبيلة او عشيرة تتعصب لقومها كما هي العادة بين اهل البراري والفلوات من القبائل والعشائر لأنهم انما يفعلون ذلك للحماية بعضهم من بعض وتعطف بعضهم على بعض لعدم وجود قانون تخضع له تلك العشائر والقبائل سوى قانون العصبية .

فلما رأت الدولة الفرنساويه ماهنالك من العشائر والعربان وسكان البلدان عمدت اولاً الى تحسين عاصمة الجزائر وتزيينها وتنظيم طرقها وتمهيد ارضها وافردت كل سوق منها على حدة فجعلت ارباب المهن القذرة خارج البلد مثل الدباغة والمسالخ والحدادين والصباغين وهلم جراً ثم اعتنت بالنظافة وازالت كلما يضر بالمارة وحررت الموازين والمكاييل والمقاييس وتفقدت المياه والمجاري لان الماء مادة الحياة فاذا فسد فسدت الاجسام لما يكسبها من الأمراض وتغيير الأنفس والأخلاق ، وكذلك اهتمت بعادات الأمة فلم تطبق القوانين والنظامات المخالفة للعادات .

نعم لاننكر ان ظروف الاحوال قضت منذ عشرات من الاعوام بوضع قوانين وانظمه كانت لاتخلوا من دسائس بعض سراة اليهود نقماً

عنها هضم حقوق الجزائريين ولكن نجباء الدولة الفخيمة الفرنساوية اقاموا القيامة ونشروا المقالات الرنانة وحملوا حملات شديدة على تلك الانظمة ونشرت جريدة «الطان» الكبرى اقوالهم وملاحظاتهم واعطت للمنتقدين الحق وابت انسانية الشعب الفرنساوي الممتلئ حمية وشرفاً الا تحوير تلك القوانين والانظمة وقد حصل ومن ذلك العهد تمتعت الامة الجزائرية بما تتمتع به الامة الفرنساوية من الحقوق والمساواة .

قلنا ان الحكومة الفرنساوية اخذت على اثر استيلائها على الجزائر تباشر الاصلاح وانها بدأت بالمدن والبلدان . نقول ومن ثم لم تأل جهدا عن بسط مدنيتها وتعميم حريتها بين القبائل والعشائر الذين اشتهروا بشدة الشكيمة وصعوبة الانقياد حتى كانت كل قبيلة تظل تحارب الاخرى وربما جرت الحرب ذيلها على بقية القبائل المجاورة للقبيلتين المتحاربتين فيعمل الصارم البتار والبارود والنار بين النفوس فتبيدها والارواح فتزيلها بين حمر المنايا وسودها الى آخر ماهنالك مما هو معلوم ومشهور من نحائز اهل البادية وعاداتهم ولذلك واصلت الحكومة الفرنساوية الليل بالنهار في تغيير هذه العادات وتعميم وسائل الامن وتدريب اولئك العربان على الاشتغال بالزراعة والفلاحة وتحويل افكارهم الى العمل بما يعود عليهم بالرفاه والسعادة وادخال القسم الاعظم من ابنائهم في المدارس والمعاهد العلمية فلم تمض بضعة اعوام حتى انتقلت تلك القفار الشاسعة والبراري الواسعة الى حدائق زاهرة وبساتين ناضرة ومزروعات تسر الناظرين وقد جرت بينها جداول الماء على حصباء كالعسجد والياقوت والزمرد وبعد ان كانت لاتأنس بهذه القفار الا اليعافير والاعيس ولا تدب بتلك السباسب والبسابس الا الضواري ولا يرى الانسان الا صحراء اوسع من قبة السماء خالية من السكان والعمران الا ما يأوي اليه في بعض جوانبها من هؤلاء القبائل .

بعد ان كانت قبائل الجزائر على هذه الحال واذ قد اشرقت على سمائهم شمس المدنية فلبست الارض ثياب الزينة وقامت بارجائها الحدائق الغلب ذات الاشجار الوارفة والثمار اليانعة وخطرت آنسات الاعراب بين الحدائق والاعناب وهى تميس كالعروس وتخطر كالعندليب او الطاووس آمنة من عوادى الايام تبسم لها الدنيا اجمل ابتسام والبلابل تغرد على الافنان والطير تترنم باطرب الالحان . فالامة العربية ولئن كانت ذات مجد عريق وفخار قديم ولكن احوال البادية بقيت مستتبة فى كل زمان وفى كل مكان وظلت عاكفة على عادتها لاسيما بادية « الجزائر » فلما تعهدتها الحكومة الفرنساوية بعنايتها نالت من السعادة والعمران والهناء ورغد العيش ماجعل الامم الاخرى تغبطها بل تحسدها وكل ذى نعمة محسود .

ثم قل مثل ذلك عن الايالة التونسية التى نهضت نهضة عالية ونشطت من عقالها وبلغت سدرة المنتهى عزاً وفضلاً وصارت الاراضى من كانت تطأها اقدام الدواب والحشرات . مصدراً للغنى والثروة حيث فاضت معادنها ومناجمها بالنضار وشمل الاصلاح مزروعاتها فنمت وخصبت وضرب فيها العمران نطاقه وبعد ان كنت لاترى فى اقليم الجزائر ولا فى الايالة التونسية مهندساً بارعاً ولا نطاسياً ماهرا ولا عالماً متفنناً فى العلوم العمرانية اصبحت تجد العدد الكافى للقيام بشئون الامة و بذلك برهنت فرنسا على اخلاصها فى ترقية البلاد والعباد .

وقد احدثت مستشفيات لمعالجة المرضى مجاناً فى كل قرية وفى كل ناحية رأفة بالانسانية وانشأت معاهد التعليم واتت باحدث الآلات الزراعية وشقت الآبار الارتوازيه فكان كل ذلك السنة تنطق بشكرها ومآثر تجعل لها فخراً مخلداً .

وهاهى الصحف الجزائرية و التونسية تصدر حافلة بادق المباحث

السياسية العمرانية مدبجة باقلام نبغاء تأخذ اقوالهم بمجامع القلوب وتمتزج الفاظهم باجزاء النفوس وتشف كتاباتهم عن حرية باهرة تترعرع اغصانها بنضارة وازدهاء .

كان عقلاء اسبانيا يقولون عن العرب فى عهد الاندلس ( ان العرب تبوئوا ارضنا واتخذوها غنيمة لكنهم عاضونا عن ذلك نضاراً - هنوا بذلك علماً ) .

وكذلك قل عن الدولة الفرنساوية التى اثمر حبها للامة العربية بهذه الثمار اليانعه وكان اول فضل يذكر للامة الفرنساويه مافعله « كرلوس » الكبير ملك فرنسا بالعلوم العربية فعل « المأمون » بالعلوم اليونانية فانه امر بترجمة اطايب تصانيف العرب الى اللغة اللاتينية محافظاً على نسختها الاصلية. ومن ذلك الحين اخذت الامة الفرنساوية تنكب على مطالعة العلوم العربية وقد انشأوا المكاتب الجسيمة وجمعوا نفائس الكتب وأسسوا مدارس للمستشرقين وخصصوا لها الاموال الطائلة وقد استبشر بنو (سام) لان ابناء عمهم بنى (يافث) ارجعوا لهم ما اخذوه مطبوعاً وعلى ظهره اكتشافاتهم. اجل اننا سلمناهم العلوم من يدنا اليسرى وهم قد ارجعوها لنا باليد اليمنى وفضلهم وقدرتهم فى ذلك بواسطه مدارسهم ومطابعهم ظاهرات لاينكرها الامن كان منكراً للجميل قال المعلم بطرس البستانى فى دائرة المعارف :

« ان الفرنساويين يشهدون للعرب بالذكاء وسرعة الفهم ويمدحون قدماءهم ويعترفون لهم بالمعارف ولكن شتان بين علومنا التى اخذوها منا وبين علومهم الآن كما هو مشاهد حساً. مثلاً علم الحساب فان مانمكث فى حسابه ساعتين وثلاثاً هم يحسبونه فى دقيقة واحدة بحساب اخترعوه يسمى بالانساب اى اوقات الاعداد ونحن لا نعرف الا السبعة كواكب سيارة : واليوم عندهم تنيف عن الاربعين ولا نعرف الا اربعة عناصر

واليوم عندهم نحو خمسة وستين والهواء الذى نحسبه بسيطاً عندهم مركب من بسيطين ويفرقونهما بالمشاهدة بالآت اخترعوها لذلك . وكذلك الماء عندهم مركب من عنصرين وقد اكتشفوا كثيراً من المعادن التى لم تعرف سابقاً وما كشفوه فى هذا القرن من نتائج الكيمياء والعلم التطبيقى والهندسة وجر الاثقال والمناظر التى لم تعهد سابقاً ولا اطلع على احد من القدماء وكذلك سفن التجار وطريق الحديد ونواعير المعامل والزبد الفحمى لوقد المصابيح والموصل البرقى الذى يوصل الخبر فى دقيقة واحدة الى مكان بعيد الى غير ذلك مما يطول شرحه فضلاً عن الاكتشافات العظيمة التى بواسطتها تغيرت الدنيا وبرهنت على ان العلوم الطبيعيه كانت فى سن الطفوليه . وستفعل الاجيال الآتيه مافعله ابناء الزمان بنتون المتقدمين وذلك لانهم يستفيدون منها ويبتدئون من النقط التى وصل اليها اسلافهم بعد جهاد طويل . الى ان قال: وقد زعم بعض المغرضين ان علوم الفرنسيس فى ايديهم ولكن من وقف على الحقيقة لايسعه الا انكار بان علومهم فى رؤوسهم . اه

نقول ولانخشى فى الحق لومة لائم ان محبة فرنسا للامة العربية لم تكن منحصرة فى نقطة واحدة ولاهى لاجل الاستعمار واستعباد العرب وتذليلهم بل ان السبب الأصلى انما يرجع الى العلم وتبادل المنفعة فالعالم سواء كان من المسلمين او المسيحيين او من اى مذهب وجنس يعظم ويجل قدره لانه يكون من الاعضاء العاملة فى الهيئة الاجتماعية بخلاف الجاهل الذى هو بمثابة عضو اشل وكما ينطبق هذا القول على شخص ينطبق على عائلة ثم على قبيلة ثم على مملكة بأسرها فاذا كانت مملكة باجمعها جاهلة تخبط فى ظلمات الفهاهة والغباوة لاتفرق بين الارض والسماء ولا تميز النور من الظلام فانه لا يكون حكمها كحكم الأمة المتنورة المتقلبة فى اعطاف السعادة العلمية (وهل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون

ام هل تستوى الظلمات والنور ) ومن القواعد الحكمية ان قيمة كل انسان ما يحسنه ولا ننكر ان اقساماً ومقاطعات كثيرة فى البلاد العربية وفى هذا العصر الذهبى عصر النور لم تزل غائصة فى لجج الجهل المطبق وقاصرة حتى عن معرفة القراءة والكتابة بلغتها العربية وربما قامت البلدة وقعدت وافضى بها الاضطراب الى ما يطول شرحه وهى تبحث وتنقب وتفتش وتقلب على من يفك الخط او يقدر ان يقرأ مكتوباً جاء لاحد اهاليها .

فاين هذا مما يروى عن الثقات بانه يوجد فى مكتبة باريس الملكية اكثر من مائتى مؤلف باللغة العربية فى النحو وحده.

العلماء هم صفوة الله فى خلقه ونخبة من عباده وهم الذين صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه اهل الجهالة من الامم المتبربرة من التناهى فى الهى والانكباب على الشهوات اذ علموا ان البهائم تشاركهم فيها وتفضلهم فى كثير منها. ولهذا السبب كان اهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر توحش الدنيا لفقدهم ولا تتألق اقمارها وتتفتح حدائق ازهارها الا بوجودهم وما احبت الأمة الفرنساوية ابناء قحطان وعدنان واحفاد يعرب الا لتعيد اليهم ماسلبه من ايديهم الزمان من تلك العلوم التى اضاعوها والفضائل التى كانت حلاهم ولم يحافظوا عليها فآل امرهم الى بئس المصير حتى كأنهم لم يكونوا احفاد اولئك الآباء الامجاد .

هذا ولولا خشية ان نحمل على المغالاة لقلنا ان الدولة الفرنساوية هى من اعظم الدول حبا للأمة العربية وانها لا تنظر الى مسألة المذاهب والاديان وهى التى نزعت سلطة الاكرلس ومنحت الحرية المطلقة لكل انسان حتى صار المسلم يتزوج بالغادة الباريسية ويمكث معها تحت سماء باريس متنعماً بنعمة السعادة العائلية ولايرى فى ذلك شططا ولا يسمع

من اى انسان اقل اعتراض وقد ازداد حب الفرنساويين للعرب فى هذا الزمان حينما شاهدوا اشتراكهم معهم فى الحرب العمومية ودفاعهم عن العلم المثلث الالوان وذبهم عن حياض دولتهم حتى حارب المسلم ابناء دينه تقديراً لحسن المعاملة التى شاهدها من هذه الدولة فافتدى بدمه ترابها وعرفت فرنسا للعرب هذه الحمية واعلنت تمجيدها لهذه الأمة ووجوب اشتراكها فى كل ما يترتب عليه نجاحها و تبليغها جميع آمالها . وشرعت فى بناء المساجد الاسلامية والتكايا والزوايا حتى فى نفس باريس ام المدنية وبرهنت بذلك على شرف محتدها وفرط حريتها وطيب نجارها لان من مميزات الامم الراقية فى الحضارة اطلاق الفكر من قيود التقليد .

الا ترى فى زمن المأمون العباسى فقد تعددت البدع الدينية فى عصره من المجوس وغيرهم عدا عما كان من البدع المذهبية والفرق الاسلامية وكان المأمون نفسه شيعياً وكان وزيره قاضى القضاة يحيى ابن اكثم سنياً ووزيره احمد بن ابى داود معتزلياً وربما اجتمع عدة اخوة فى بيت واحد وكل منهم على مذهب فاولاد ابى الجعد ستة منهم اثنان يتشيعان و اثنان مرجئان واثنان خارجيان و لم يتطلع فى ذلك عزان .

وقد كانت حرية العقول فى عصر المأمون اشبه بحرية الصحافة فى البلاد الفرنساويه ومن اشهر الأدلة على ذلك قصته مع دعبل الشاعر وكان متشيعاً للعلويين كثير الهجو لبنى العباس وله فيهم قصائد هجوها شديد و اعداؤه يحرضون المأمون على قتله حتى انشدوه مرة قوله من قصيدة كان هدد بها دعبل الشاعر الخليفه المأمون منها :

ايسومنى المأمون خطة عاجز

او ما رأى بالامس رأس محمد

(اى محمد الامين اخ المأمون) — لحرضيه ( الحق فى يدكم والباطل

فى يد غيركم والقول لكم ممكن فقولوا ما يكذبه فاما القتل فانى لست استعمله الافيمن عظم ذنبه.

ولما نظم دعبل المذكور قصيدة هجابها الرشيد هجواً مدهشاً قال ابوسعيد المخزومى وكان من المقربين عند المأمون (أتأذن لى ياامير المؤمنين ان اجيئك برأسه) قال (لا هذا رجل افتخر علينا فافخرت انت عليه واما قتله بلا حجة فلا)

وهل اعدل من ذلك وزير من ارقى وزراء الامم الدستورية المتمدنة اليوم فى صحافى طعن على امير اوملك فلاغرو اذا اطلقت حرية الدين فى عهده.

كل هذا كان نتيجة التوسع فى الحرية الملازمة للحضارة ومع ان الاسلام كان فى غضاضته وفى منتهى سطوته . فان حرية الافكار لم يقف فى وجهها مايسمى بالتعصب الدينى شأن الامم الراقية والشعوب الناهضة.

فالامة الفرنساوية تقدر للعرب ما كان لهم من عظيم المجد وتعترف بذكاء هذا العنصر الكريم وتمتدح بشجاعة ابطاله وتعمل على اعادة مجده السالف تحت شعارها حتى يشرف على البقاع ويستضيء بشموسها واقمارها.

فعلى الامة العربية ان تعقد القلوب قبل عقد الخناصر على محبة فرنسا وان تتحد وتتضامن وتدأب على الجد للاستفادة من هذه النعمة فبقدر الكد تكتسب المعالى وكل من سار على الدرب وصل وان ليس للانسان الا ماسعى وان تعرض الامة على كل مفسد محتال يشق فمه بما لا يطيب ذكره لمقاصد سافلة ومآرب ذاتية متخذا اسم العرب والعنصرية وهلم جرا ذريعة الى مقاصده متظاهراً بالشفقة والحنان وبحب الاوطان وبما يماثل ذلك من النعوت والصفات والعبادات التى تدب بينها حيات وافاعى الفساد ويتغلغل الباطل من بين الفاظها وماهى الاحبائل تنصب ومفاسد تبث وحيل يراد بها الخداع فحذار حذار ايها العرب الكرام من ان

تنطلي عليكم هذه الدسائس واعلموا ان كل من سعى فى التفرقة ونخدع بمثل هذه الوسائل من اشد الناس عداوة لكم فاطردوه وانبذوه ولو كان من بنى عمكم نسباً واصرفوا افكاركم فى كل ما يعود على بلادكم وامتكم بالغنى والمجد وليتسابق الاغنياء منكم الى تشييد المعاهد العلمية كانشاء مدارس طبيه لتعليم البنات اسوة باخوانكم فى القطر المصرى فلا تلبث تلك البنات ان يخرجن طبيبات وكذلك يعتنى بالاطفال وليكن اولى تشييد معاهد صناعية وزراعية تجمع رؤس الاموال من الاغنياء لهذه الغاية ويستجلب اهل الاختصاص تحت عناية الدولة المنتدبه وبحسن ادارة وحماية سمو المندوب السامى فلا يمضى ردح من الزمن حتى تخطو بلادكم خطوات واسعة فى ميدان الرقى وترفرف اجنحة السعادة فى فضاء اقاليمكم الصافية فان الزمان زمان جد ومسابقة وتنافس فى العمران . واما اذا تعلقتم بالمقادير وتعثرتم فى اذيال المعاذير واصغيتم لكل ناعق وصارخ فانكم تحرمون من السعادة ويضرب عليكم الذل ويحيق بكم العذاب ولا شك ان من له اقل مسكة من العقل يقبل ذلك على نفسه وامته لانه لا يتم للانسان سعادة الا بسعادة اهل بلاده كما انه لا يحسن له حال الا بحال اهل وطنه .

وان اهم ما يفيد البلاد السورية الآن الاقبال على اكتساب العلوم والفنون والصنائع والسعى فى تعميمها وارسال الارساليات من الاذكياء الى المكاتب العالية فى باريس وايفاد الاتقياء من المرشدين المشهود لهم بالنزاهة وحسن السيرة والسريرة الى القبائل والمشائر لبث النصح والارشاد وايقاف كل ناطق بالضاد على حسن نوايا الدولة المنتدبة وفرط محبتها للعرب وحرصها على استبقاء ذلك الحب منذ قديم الزمان ومتى آنست الامة العربية بهذه المبادئ وسرت هذه الروح الشريفة فى مداركها ونهجت سبل الوفاق فانها تكون قد برهنت على ما هو مقدور فى ذكائها والا

فهيهات ان تقوم للمقصر عقد او تقبل منه حجة بعد ان تبلغ ضوء النجاح وجاءت الدولة المنتدبة لتنهضكم من حضيض الانحطاط .

وزد على ماتقدم مايأتى تفصيله :

« جاء فى النشرة الاقتصادية المصرية ان النمو الصناعى فى مراكش يعتبر فى حالة الطفولة لولا ان لوحظت فى السنوات الاخيرة نهضة جديدة تبشر بنتائج حسنة .

ولن اول الصناعات التى تقضى طبيعة تلك البلاد بتقدمها باعتبارها مركز عظيم لزراعة القمح هى صناعة الى طحن الغلال . وقد انشئت فى العهد القريب طواحين كبرى فى مراكز ( قصبلنجه ) و ( راباط ) و ( فاس ) كما انشئت طواحين اخرى اصغر حجماً فى مدن مختلفة وهذه الطواحين القائمة التى تدار بالماء او بالخيل اصبحت تورد جميع حاجة جيوش الاحتلال وحاجة السكان الاوروبين الذين يتزايد عددهم بسرعة على توالى الايام .

وبجانب هذه الطواحين انشئت بعض المعامل لصنع البسكوت والمكرونه وغيرها من المواد المصنوعه من العجين . كذلك ظهرت فى عالم الوجود معامل لصنع الجير والجرة والاسمنت وقطع الاحجار وآلات لتوليد الكهرباء وابار ارتوازيه عديدة .

واحدث تقدم صناعى فى تلك البلاد هو انشاء معامل لصنع الحبال من الياف النخيل واخرى لتمليح اللحم وتمليح السمك وتجفيف لحم الخنزير والغزل الكتان ولاستخراج زيت الزيتون .

كذلك انشئت مسخانة كبرى ومعامل اخرى صغيرة فى مدينه ( قصبلنجه ) على احدث طراز معروف اما ماتصدره مراكش الى الاسواق الاجنبية من صناعتها المحليه الخاصه فتقتصر فى الوقت الحاضر على الصناعة الجلديه والسجاجيد التى اهتمت الحكومه كثيرا فى تشجيع

صناعتها وتصدر من المواد الاولية الخضروات والكتان المغزول والقنب.
وقد ابتدأت صناعة نسيج الكتان سنة ١٩١٩ وفى نفس هذا العام
انشئ اول مغزل له .

ولما كانت الصناعة فى مراكش تعطى محصولاً جيداً من الكتان
والقنب فان الآمال معقودة على نمو هذا المحصول لاسيما القنب الذى بات
ينافس اجود الاصناف التى توزع فى بولونيا الايطاليه . » اه

ولعمرى كيف نطيل الكلام فى هذا البحث وبين ابناء افريقية
وسوريه فطاحل قد طووا ألوية الفضل باحراز العلوم الفرنساوية ثم
نشروها فى سبيل تخليص بلادهم ألم يقم منهم رجال للمطالبة بانتداب
فرنسا ألم تكن هذه الدولة هى التى صرفت مجهودات كبار علمائها فضلا
عن الاموال الطائلة لاحياء الامم العربية ألم يخرج على ايدى رجال الامة
الفرنساوية نبغاء فى الطب والسياسة والجندية واحرزوا قصبات السبق
فى مضمار العلوم الصناعية والزراعية أليس فيكم المهندسون الذين رسموا
مقدمات ( اقليدس ) على الواح افكارهم واناقوا عليه بما ربى على متونها
من شروح الاساتذة الفرنساويين أليس فيكم الاقتصاديون والاداريون
وعلماء الحقوق الذين درسوا علم القوانين والنظامات وتفلسفوا فى الشروح
على ايدى اولئك الاساتذة الاجلاء .

فهل بعد ذلك يليق بامة يكون من ابنائها مثل هؤلاء الافاضل ان
يخدعوا بترهات فئة من رعاة الابل فى البادية او شرذمة من الذين
لفظتهم بلادهم لفظ النواة فلاذوا اقطار الدنيا بعجائزهم فكان حكمهم
حكم المتشردين . فلتبذل الامة العربية المهج ونفائس الاموال فى سبيل
نجاحها ولتدرأ عنها وصمة العار باعلان اخلاصها سراً وعياناً وقلباً ولساناً
ولتقدس هذه الدولة وتنقش على صفحات قلوبها محبتها فتفوز بالسعادة
وتنال الحسنى وزياده .

# الباب الثانى

## فى محافظة دولة فرنسا على مقام الخلافة العظمى

من المعلوم ان الدهر مكافآت وكما يدين الفتى يدان ففى سنة ٩٣١ للهجرة ارسل الملك فرنسيس سفيره الى الاستانه العليه فى عهد السلطان سليم الاول لعقد محالفة بين الدولة العليه وفعلاً كانت هذه المعاهدة مقدمة لشد روابط الائتلاف بين تركيا وفرنسا و بالرغم من التقلبات السياسيه فان دولة فرنسا الفخيمه لم تغفل عن هذه المعاهدة التى كانت كحجر اساسى تشيدت عليه دعائم الروابط الحبيه بين الدولتين المشار اليهما .

وقد ازدادت الروابط فى عهد السلطان سليمان القانونى وكان عدد الفرنساويين الذين استوطنوا الممالك العثمانيه للتجارة والصناعه واستثمار الاراضى قد بلغ مبلغاً كبيراً حتى اصبحوا جاليات منفصله عن الوطنيين فلما رأت الدولة ماهم عليه من الاقدام والنشاط والسعى المكلل بالنجاح تلطفت بمنحهم امتيازات خاصة تكفل راحتهم وترغيب غيرهم فى التشبه بهم من الوفد الى الممالك العثمانية والقاء عصا الاقامة بها سعياً فى ازدياد الثروة ونشر التمدن وفتح دور الصناعة ولكى تقتدى بهم الامة وتستفيد من مداركهم علماً وسعياً واقداماً وكلمة ( الامتيازات ) مأخوذة عن اللغة اللاتينية وهى عبارة عن عقد جملة ابواب وفصول وفى علم الحقوق كناية عن عقود تضمن للفرنساويين خاصة وللاوروبيين كافة المقيمين فى الممالك العثمانية ان لا يكونوا تحت طائلة القوانين الاهلية وقد خول خواقين آل عثمان تلك الامتيازات بصورة اوضح منذ القرن السادس عشر فكان الفرنساويون يتعاملون مع الاهالى بكل ود ويتناولون وسائل الاخلاص ومن ثم صار التعديل والتحوير فى الامتيازات المذكورة فى سنة ١٥٨١ و ١٥٩٧ و ١٦٠٤ و ١٧٤٠ تحويراً توصلت اليه دو

فرنسا بموافقة الباب العالى بالمحافظة على حقوق سيادتها على المسيحيين طبقاً لاتفاق سنة ١٥٧٥ ومن ذلك الحين انتقلت هذه الامتيازات من شكلها مع توالى الايام حتى اكتسبت صورة المعاهدة .

واتماماً للفائدة نقول انه لما حصلت فتنة الشام فى سنة ١٢٧٦ هجرية تداخلت فرنسا وارسلت فى ٢٢ محرم سنة ١٢٧٧ الموافق ١٠ أغسطس سنة ١٨٦٠ ستة الاف من جنودها لاعادة السكينة وقد نزلت الجنود الفرنساوية الى بيروت وكانت تحت قيادة الجنرال ( دوبول ) ولكن كان من رجال الدولة العثمانية الصدر الاعظم فوآد باشا الشهير بذكائه فلما استفحل امر الثورة ذهب بنفسه الى برالشام وتوفق لاخماد الفتنة حيث شكل مجلساً حربياً وحاكم رؤساء الفتنة بكل صرامة و بذل همته فى اعادة الامن طبقاً لرغائب الدولة الفرنساوية وحرصاً على دوام الصلات وفعلاً عادت المياه الى مجاريها بين الباب العالى والدولة الفرنساوية . وعدا ذلك فان للفرنساويين فى الممالك العثمانية ( قبل الحرب العمومية ) القسم الاعظم من الاموال التى تبلغ مايه مليون ليرا ذهباً ولولا خشية التطويل والخروج عن الصدد لجئنا ببيان ذلك .

واجماع القول فان الروابط القديمة التى بين فرنسا و دولة الخلافة هى الباعث على احترام شعور المسلمين والداعى للمحافظة على هذا المقام الاقدس ولقد وقفت فى موقف المعارض لكل حركة تعمل ضد تركيا سواء من جهة احتلال ازمير وتراكيا والاستانه وسواء فيما يتعلق بمسألة الخلافة .

فقد نشرت « الطان » مقالا فى ٦ يوليو سنة ١٩١٩ بقلم محررها السياسى من الاطلاع عليه يتضح صدق ماقلناه قال :

« امضيت الهدنة مع تركيا يوم ٣٠ اكتوبر وكانت قدامضيت قبل ذلك اى فى يوم ٢٩ سبتمبر مع بلغاريا ومع ذلك لم تستطع حكومات

الحلفاء الى الان ان تعقد صلحاً مع تركيا ولا مع بلغاريا فلاندهش اذانحن رأينا نارالحرب تضطرم من جديد فى آسيا الصغرى وقد تضطرم غداً فى البلقان .

وفى الواقع فان حرباً حقيقيـاً نشبت بين الترك واليونان منذ اليوم الذى نزلت فيه الجنود اليونانيه فى ازمير وليس من يعرف فى اوروبا منشأ هذه الحرب ونتائجها اكثر من مسيو كليمانصو ومستر لويد جورج. ولكن الظاهر على كل حال ان مجلس الثلاثة لم يستوف كل المعلومات اللازمة قبل ان يكل الى اليونان احتلال ازمير لا بل يظهر ان وزارة خارجية فرنسا لم يصل اليها نبأ بالقرار الذى قرره فى ذلك المجلس

اكتفى الثلاثة بمعلوماتهم الخاصة وصمموا على ان يكتموا القرار حتى عن ان يبصروا كل الاهميـة او ان يثبتوا مقدار النجـاح فى تنفيذه فعليهم الان ان يشرحوا للعـالم خططهم التى رسموها فى الشرق وان يقولوا ان كانت المجادلات التى شوهدت فى جلسـة اثر منها ستستمر فى جلسات المجلس الاعلى للحلفاء .

ولا يسع الجمهور فى هذه الحال الا ان يصرح برغباته وهى رغبات تصدر عن شعوره الصادق ونظره السليم. فى مقدمة هذه الرغبات انه مهما تكن الحوادث التى حدثت فى ولاية ايدين موجبة للأسف يجب ان لاتتداخل فيها فرنسا بشكل من الاشكال ولا فى وقت من الاوقات.

ثم ان البعض يزعمون ان مواجب المؤتمر ان يعمل على احترام قراراته وان يعاقب من يخالفها عقاباً شديداً ولكننا لم نعرف متى عقد المؤتمر لينظر فى مسألة آسيا الصغرى ونعرف فوق ذلك ان الاكثرية

العظمى للشعب الافرنسي لاتقبل في حال من الاحوال ان يجازف بجازف بجزء من قوة فرنسا وثروتها في عمل لا دخل فيه للمصالح الفرنساوية وقد رأينا ورأى كل انسان ان التداخل في روسيا الذي كان مفيداً للبلاد قوبل بمقاومة شديدة عطلة فكيف تكون الحال اذا وجب ان ترسل حملة الى آسيا الصغرى.

و بما ان البحث في هذا الموضوع قد فتح فمن الواجب ان نذهب فيه الى بعيد وان نتسائل ماهي المسؤليات التي تأخذها الان فرنسا على عاتقها في الممالك العثمانية ؟

انا نعرف شيئاً واحداً هو انه منذ اليوم الذي هيجت فيه خواطر المسلمين اصبح من المرجح ان يتسع نطاق القلاقل وان تزداد الحال خطورة في الشرق فمن حقنا ان نسأل من يأخذ على نفسه مسؤلية الحوادث وماهي الفوائد التي يجنيها في مقابل ما يتعرض له من الاخطار في مقابل هذه المسئولية.

تقيم القيادة العليا التي يتولاها الجنرال فرنشيت ديسبرى في الاستانه فما هي السلطة الحقيقية لهذا الرئيس و ماهي القوة التي تحت يده . ( ان فرنسا لا تطمع ادنى طمع في الاستانه ) و لكن تملك فيها مصالح

---

مادية وادبية ينبغي ان تدافع عنها فهل هي قادرة على ذلك ؟ ثم الم تلق على عاتقها فوق هذا كل مسئولية الحوادث التي يمكن ان تحدث في تراكيا.

الم يعلن منذ ايام فقط ان الجنود الانكليزيه ستنسحب من هذه المنطقة فما هي المعدات التي يستطيع الفرنساويون بها ان يؤدوا في تراكيا عمل البوليس للمحافظة على النظام وماهي فائدة فرنسا في هذا العمل؟...ه

هذا ما نشرته جريدة الطان قبل أن تأخذ الأحوال السياسية

ادوارها النهائية ومما تقدم يظهر للقراء حسن نوايا هذه الدولة وسياستها الرشيدة وتقديرها لعواطف المسلمين وشعورهم ومحافظتها على الولاء القديم غير ناظرة للخطأ العظيم الذى ارتكبه رجال السياسة فى الدولة بدخولهم فى الحرب العمومية ووقوفهم بجانب اعدائها الالداء وعدم تبصرهم فى العواقب وتقديرهم لهذه الدولة وكيف انها قبل الحرب باعوام قد فرجت ازمة العثمانيين وعقدت لهم القرض الكبير الذى اشتروا منه دارعتين من المانيا لاقيمة لهما فضلاً عن مقابلة ذلك الجميل بضده . كل ذلك قد قابلته سياسة فرنسا بالتسامح المقدور فى تجاربها وعمات بكلما تقتضيه شهامتها العاليه من ضروب اللطف والعطف والعفو عندالمقدرة . وزادت عليه بان اخذت على عاتقها القيام بالدفاع عن مقام الخلافة الاقدس وعن حقوق الدولة فى ازمير وتراكيا حتى كادت ان تقع مع حليفتها .

وكفى دليلاً على تأييد ذلك قول فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية المسيو ميلران ( اذا وجد شخص يحب تركيا اكثر من بيير لوتى فهو انا ). وقوله فى البرلمان :

( انى بذلت كما بوسعى لاجعل شروط الصلح ممكنة القبول من العثمانيين وبقاء الاستانة عاصمة لمقر الخلافة المقدسة الاسلامية ).

وقد دافع ايضاً الموسيو لويغ رئيس النظار فى فرنسا عن مقام الخلافة دفاعاً يجعل له صحائف غراء فى التاريخ بل ان جرائد فرنسا عن بكرة ابيها كتبت المقالات المتأججة ناراً دفاعاً عن الخلافة الاسلامية وطلبت تغيير معاهدة ( سيور ) وطلبت ان تنشأ على انقاضها معاهدة جديدة : وقالت وان هذا لهو الصلح الوحيد الذى تهدأ به ثائرة الاسلام ويتقى به الخطر المهول .

ونشرت جرائد باريس مقالات شائقة لحضرة الاستاذ المفضال

الشيخ محمد الشاذلى المورالى التونسى رئيس جمعية الخلافة الاسلامية فى تونس والجزائر خلاصتها ما يأتى :

يجب اولا حفظ الحالة الترابيه التى كانت على تراكياواز ميرقبل الحرب.

ثانياً : منح استقلال للبلاد العربيه .

ثالثاً : تبقى البلاد المقدسة تابعة رأساً لمقام الخلافة .

رابعاً : الغاء الامتيازات القنصلية وارجاع التنح الاقتصاديه للدول الحميه .

وقال ان هذا الصلح على هذا الوجه لايرضى الاسلام وفرنسا فقط بل انه خير كفيل لحفظ حياة انكلترة واعادة السكينة فى الهند.

وفيما تقدم اعظم برهان ينهض حجة على تكذيب المفتريات التى لفقها صاحب رسالة ( الشرح ) التى هى اشبه بخيالات ( السينما ) وقصص الف ليله وليلة منها برسالة علمية كما سيأتى بيان ذلك عند الكلام عليها وعلى بقية تلك الرسائل المملوءة بالدسائس و السموم التى لا تخفى على اولى الالباب والفهوم .

على اننا قد ضربنا صفحاً عن الواجبات الدينيه التى يفرضها الاسلام على الامه وان كل من فرق عن الجماعة وخلع يده من الطاعة وجب قتله ـ لان ذلك البحث قد وفيناه حقه فى مقالات متعددة نشرناها فى جريدتنا « العدل » مذيلة بامضائنا رداً على المارق الضال الذى اتخذ ( القبلة ) ذريعة للزيغ والفساد فكان من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا قال تعالى فى كتابه العزيز .

( واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ) .

وقال تعالى : ( الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه و يقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون ).

وبعد فمن اصدق من الله قيلاً واهدى سبيلا : نسأله التوفيق ونعوذ به من سقط المقال ومواقف الانخذال .

* *

وقد كتب الزعيم الهندى فى الصحف الانكليزيه والفرنساويه بخصوص الخلافة مايأتى :

« فى اعتقادى ان اوروبا اذا كانت لا تزال حتى الان تحترم « العالم الاسلامى » فذلك لوجود الدولة العثمانية التى تمثل الخلافة الاسلاميه فاذا تلاشت — لاسمح الله — وانقضى امر الخلافة بان اصبحت صوريه تعهد الى احد مشايخ الحجاز مثلاً ، اصبح العالم الاسلامى — على كثرة عدده — مهملاً مضطهداً ينظر اليه بغير العين التى ينظر اليه بها اليوم .

لهذا كنت صرحت لمحرر الاديجن ولغيره من محررى الصحف الافرنسيه والانكليزيه ، ان العالم الاسلامى عموماً والترك بوجه الخصوص مديون لفرنسا فى مسألة الخلافة الاسلاميه والدولة العثمانيه .

ثم لا انكر ان فرنسا فى الوقت نفسه قد عملت مصلحتها بمحافظتها على مسألة الخلافة والدولة العثمانيه ، وهذه هى حجتى الباهرة التى كنت استند اليها دائماً فى خلال كلامى عن القضية الاسلاميه ومستقبل العالم الاسلامى اذ كنت اقول ان العالم الاسلامى يجب ان يتحد مع احدى الدول الاوروبيه لمعاونته ادبياً ومادياً فى امر استقلاله التام ، ومن البديهى ان هذه الدولة الاوروبية التى ستعاونه فى قضيته يجب ان يكون لها فى الدرجة الاولى مصلحة خاصة فى نتيجة هذا التعاون وفى الدرجه الثانيه مصلحة عامة لجمهور العالم .

اجل انكم فهمتم ما ارمى من وراء هذا الكلام وادركتم ان الشرق الاسلامى الكبير اذا اراد ان ينهض نهضته الكبرى وينفض عنه غبار الخمول والكسل ويمشى بهمة قاعسة نحو الجد والعمل فليبسط يده الى فرنسا وليتفق معها على منافع متبادلة مفيدة للطرفين على حد سواء بمعنى ان لايكون احدهما مغبوناً ، والشرق يقدم امتيازات اقتصاديه ـ على ان لاتكون ماسة باستقلاله التام البتة ـ والمعاون يقدم مايحتاج اليه الشرق من وسائل الرقى العصرى الذي يوطد بها استقلاله ومستقبله ادبياً ومادياً . فاذا تم مثل هذا الاتفاق المتبادل المنفعة كان من ورائه خير عميم للعالم كله اذ يكون هناك دولتان عظيمتان ينظر اليهما العالم بعين الاجلال والاحترام الاولى فى الغرب لعلمها والثانيـة فى الشرق لثروتها ومتى اجتمع العلم والمال فهناك بلوغ الآمال » .

ومما تقدم لاشك ان القارىء الكريم يقتنع تمام الاقتناع للدرجة التى لم يبق معها قول لقائل وماذا بعد الحق الا الضلال .

. . .

لقد برهنت فرنسا فى جميع ادوارها على تقديس الخلافة العظمى واحترامها وخذ لذلك مثلا :

ما كادت الدولة المنتدبة فى سوريه تقبض على ازمة الامور حتى رأت تذمر المسلمين واندهاشهم للخطب التى كانت فى ايام الجمع تقام على المنابر بغير اسم خليفة المسلمين وامير المؤمنين السلطان (محمد وحيد الدين) فعندئذ امر الجنرال غورو بابطال هذه البدعة وفعلا ابطلت وكان لذلك احسن وقع فى نفوس المسلمين كافة .

أليس فى هذه المأثرة مايخلد جميل الذكر لدولة فرنسا .

اجل انه يهم المسلمين فى كل ارض الوقوف على اعمال دول الحلفاء تجاه الدولة العثمانية وتذهب نفوسهم حسرات كما رأوا حركة تغاير

ماتقتضيه العدالة من الاعتداء على أقدس مقام دينى لانهم يقلبون وجوههم فى سماء سلطتها الحسية والدينية ويعتقدون ان كل نازلة بها تزرأ الدين وتصدع اركانه ..

لذلك عمدت دولة فرنسا الى اظهار ماشرحناه من سياسة العدل والحكمة فليتخذ كل ذى حجى من ذلك درس عبرة فيكون من المبشرين بانه من اولى الالباب لاستماعه القول واتباعه احسنه .



# الباب الثالث

## في الرد على ما جاء في رسائل المنافقين

ان الحوادث الكونية التي تجددها الايام تجعل للمتبصر في عواقب الأمور مجالاً فسيحاً يفرق به بين الصدق والكذب ويستنتج من ذلك القياس مايحكم به حكماً صائباً على الاسباب التي تحمل الكذوب على الافتراء والخداع والباس الحق بالباطل .

لقد انكشف الستار عن حقائق الأشياء فتجلى للاعين خفايا مايضمر المنافقون وارتفع الريب عما يخدعون وتنبه كل واحد من القحطانيين بل كل ناطق بالضاد الى تلك الخدع والدسائس فهم ينظرون بعين الزرقاء ويرون حقائق الاشياء باجلى صورها فهم عرضة لكل حركة يرادبها التضليل والتغرير كالملاح الماهر الذي يضرب بسفينته عرض البحار وهو في امن من الاخطار لاسيما بعد ان ارشدتهم العبر وزأوا ماهنالك من الاغراض الذاتية ودسائس الاعداء وترويج سياسة التفريق في مقابل ماتقدمه اليه تلك الشركات وما تحدثه به انفسهم من الحصول على الترضية اواجرة السكوت سواء بمأمورية او بمخصصات شهرية او بمنحة ماليه .

نعم لاتخال العقلاء من أبناء الأمة العربية يقف نظرهم دون هذا الحجاب الرقيق وهو يشف عن تلك المقاصد والامال . فوالله ان مايسمع من التهويل وما يقال من الاقاويل الضخمة المملوءة بالحمية والاستقلال والبكاء والنواح والصراخ والنباح ولطم الخدود وعقد المآتم ومايماثل ذلك كل هذا قد يزول أثره بمأمورية صغيرة او بنفحة من الدرهم .

ان اعمال المندوب السامي الجنرال ( غورو ) في سوريه لم تكن الا صحيفة بيضاء في تاريخ اعاظم الرجال وقادة الابطال فقد رفعت ذكره فوق ذكر الزائدين عن الشرف الافرنسي وقدكان من جلائل اعماله انصراف

همته فى سبيل مايعود على السوريين بالسعادة والرفاه والراحة والامن ولم تشغله المعضلات السياسية والحوادث العمرانية والكوارث التى كانت من اذيال سوء الادارة الفيصليه بل لم تشغله كبار الامور عن النظر بنوع خاص الى مافيه توزيع العدالة بطريق المساواة بين جميع العناصر التى تضمها قطعة سوريه ولو اردنا استيفاء بعض تلك المآثر الوفيرة لعجزنا فهى كلها بحور وسحب من الفضائل المترادفة المتواصلة الاخذة برقاب بعضها بعضاً ولذلك ترى صحف بيروت والشام وحلب ولبنان وحماوحمص تتسابق فى مضمار امتداح شمائله وتصفه باللطف والكياسة وبعد النظر ووضع اللين فى موضعه والشدة فى موضعها وتفيض القول فى وصف دماثة اخلاقه وكرم سجاياه العالية وكيف انه أسس قاعدة تبادل احساسات الألفة والمحبة بين عناصر السوريين حتى اصبح بحسن تدبيره كل عربى احرص على منفعة أخيه وارادة الخير له من نفسه . بمثل هذه السياسة الرشيدة تجذب حبائد القلوب وتكلل مساعى عظماء الرجال بالنجاح.

وبمثل هذه السياسة كان يدير دولاب الاعمال فى الجزائر حتى ترك هنالك لايامه السعيدة بها اجمل اثر واحسن ذكرى يهتز لها المعالى طرباً ويقتدى بها كل عالى الهمة يتوخى اقامة ميزان العدل واحراز المثوبة وجزيل الثناء .

وكما انه امتاز بهذه المزايا الكريمة فاننا قد تعقبنا السياسة الفرنساوية فلم نرفيها الا الاعتدال وحسن معاملة الأمم المحكومة التى ستظل بظلها وتحتمى بعدلها .

فهلا يندهش القارئ اللبيب فيما اذا تليت عليه رسالة من الرسائل التى يسطرها ويحررها ويطبعها بعض المنافقين والمأجورين وذوى المطامع الذين اشتهروا بسوء السمعه . الاليت هذه الكلمات تضرب فى صلد قلوب المفسدين ضرب الالغام فيشق اصلابتها رحمة بالامة العربية التى تشق الوطن السورى بانتسابهم اليه .

# الخاتمه

لما كانت الأمور بخواتمها وكانت المقدمات تدل على النتائج فقديتاح للقارئ ان يستدل من مقدمات اعمال دولة فرنسا فى جميع الاقطار والامصار والمقاطعات التى اشرقت شمس حريتها على آفاقها بان لهذه الممالك من حسن الحظ مايستوقف الفلك عن دورته ويسترجع لكل امة ذات مجد عظمتها التاريخية كما انه ستلبس البلاد التى طال عليها القدم وهى فى حالة البداوة حلة من السعادة والهناء فتضرب العدالة اطنابها . وقد بدأت طلائع الاصلاح تبشر بحسن المستقبل وهاهى المعاهد العملية والصناعية تشاد والمدارس الجوالة تنشر تعاليمها فى طول وعرض البلاد والمستشفيات النقاله تواصل السير فى كل مكان وبين قبائل وعشائر العربان حيث تلك المدارس تعالج الارواح وهذه تعالج الابدان كل ذلك بدون مقابل وبغير اجر الامايرجى من الثواب، وحباً فى ازالة الامراض والاصلاح كالشمس التى تعم بضيائها الكائنات وكالهواء الذى هو عنصر حياة جميع المخلوقات وهو النعمة الكبرى التى يتوقف عليها تأسيس دعائم العمران وكما ان الاصلاح يؤدى الى الرقى فانه يقوم باعلاء شان البلاد فلاتلبث ان ترى الآلات الزراعية قدعمت البلاد فتستفيد الامة ويتعلم الجهلاء ويشتغل الناس وتستعيض القبائل عن غزو بعضها بعضاً باستثمار الاراضى وتذوق لذة الكسب الحلال وتنقلب تلك البرارى الجرداء والقفار القاحلة الى جنات وعيون و الذكاء العربى لايستخف به وانما يحتاج الى من يرشد الامة ويأخذ بيدها الى مناهج السداد ويقوم اعوجاجها ولقد كانت قبائل وعشائر البادية فى القطر المصرى لاتقل عن غيرها فى سوريه ولكن بهمة العائلة الخديويه وبالاصلاحات التى قامت بها بدلالة مصلحى الفرنساويين قداصبحت الان هذه العشائر فى عز

ونعيم ومقام كريم وصار لها من الغنى والثروة والرقى ما يروق الاعين . وبعد ان كانت بيوتها الشعر وخيامها الوبرية تضاء بالحطب والمشاعل اصبحت تسكن القصور المتلألئة بالمصابيح الكهربائية واستعاضت عن الخيول والطبول بالاتومبيلات وسماع الجرامافونات . وصرت ترى البدوى يجرر مطارف العز وهو يرفل فى الحرير المزركش بالقصب المنضد بالذهب وصارت فى كل قبيلة معاهد علمية بل ارسلت منهم التلاميذ الى باريس فنالوا اكبر الشهادات فى الفلسفة والطب والحقوق و الزراعة والصناعة وغير ذلك مما يطول شرحه ، وبذلك اصبحت هذه القبائل والعشائر اعظم عضو عامل فى جسم الهيئة الاجتماعية المصرية وهكذا تنال الامم حظها من الرقى بمقدار مايتمداها المصلحون وماضربنا هذه الامثال الاعلى سبيل التذكير والا فشاهد العيان اصدق.

فلتعلم كل ذلك العناصر السورية ولتعمل لما يجعلها فى بحبوحة من السعادة فقد ساعدتها الفرص ووافاها حسن الطالع بيمن الاقبال ولتعرض عن المنافقين والمفسدين ومن تقدم وصفهم ولتجعل جميع اوقاتها منحصرة فى كلما يعود عليها بالخير ولتتعظ بما مر عليها من العبر فقد مضى الزمن الذى كان يسمع فيه بقصص ابى زيد الهلالى والمهلهل وعنتر وامثالهم فان الاكتشافات ارتنا انه بمادة كيماوية فى حجم البرتقالة يستطيع اضعف انسان ان ينسف اكبر هضبة من اضخم جبل فما ظنك بقوة الدولة الفرنساوية وعظمتها وماهو مشاهد من سطوتها الهائلة. وصفوة القول فاننا نبسط هذه النصائح عن طوية خالصة ونزاهة ضمير . كما اننا نكرر غرر الثناء وجزيل الشكر على جناب المندوب السامى الجنرال غورو وحضرات الاعالى الذين عهد اليهم بتنفيذ خطط الاصلاح من نجباء فرنسا فاثبتوا مقدرتهم ونزاهتهم والترفع عن الانحياز لعنصر دون اخر .

ونختم هذا الكتاب بنبذة لطيفة وقفنا عليها فى جريدة (الاستراسيون) قال :

واشتهر (بيارلوتى) الاديب الكبير واحد اعضاء الاكاديميه الافرنسية بتحيزه للشعب التركى ومدافعته عنه بلسانه وقلمه فى كل دور من ادوار المصائب التى حلت به بعد اعلان الدستور العثمانى . وآخر ماصدره فى هذا الباب كتاب ظهر فى عالم الطباعة فى الاسبوع الماضى فتهافت الجرائد على نقده اما تحبيذاً على مقتضى مشاربها وقد استهل المؤلف كتابه بهذه العبارة .

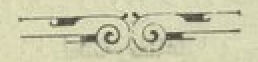
هذا المؤلف هو الرابع من نوعه ولا اعلم اذا كنت استطيع ان ادعوه كتاباً لانه ليس الا مجموعة رسائل اندفعت نفسى لكتابتها .

الا فليعلم كاتبنا العظيم انه ليس الوحيد من ابناء فرنسا الذين يستفزهم الحنو على الاتراك ويعجبون بمزايا هذا الشعب فان كثيرين من رجال السيف عندنا الذين تماسوا معهم يميلون اليهم ويظهرون اسفهم على مسألة ماصابهم . لا بل عندنا قائداً افرنسياً عظيماً كان جمع مرة على مائدة طعامه بعضاً من رفاقه فى الجيش ولما تجاذبوا الحديث عن حوادث هذه الحرب الاخيرة نطق بهذه الكلمات :

(انى ماوجدت بين اعدائنا فى كل هذه الحرب الا عدواً واحداً عالى الاخلاق شهماً كريم المزايا وهو الشعب التركى . ولو يدخل على الان ضابط تركى لكنت اقف له على الاقدام واصافحه .

وهذا القائد الافرنسى الذى نطق بهذه الكلمات هو الجنرال غورو الذى فقد ذراعه فى الدردنيل اثناء محاربته هذا الشعب الذى شهد له هذه الشهادة . هكذا تكون الاخلاق !

والله نسأل ان يكلل جميع الاعمال بالنجاح والتوفيق لكلما فيه النفع العام . وانهم كما احسنوا فى المبدأ سيكون لهم حسن الختام . اه




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت